وتارةً بلد (وهي من مقاطعة البطريرك) وسنجـار وآمد وماردين وباعربايا وميافارقين وحران وحصن كيفا. ومعرَّة (وتلكيف) وكانت تارةً تزداد واخرى تنقص (١

٣ : مطرنة فرات ميشان وهي البصرة. ٤ الموصل وآثور. ٥ اربيـل وحزة (سنجقية). ٦ باجرمي وهي بيت سلوخ وكركوك. ٧ حلوان اي حلح وهي اليوم سليمانية. وهولاء المطارين السبعة هم اصحاب سيامنذ الفطرك. ٨ اورشليم القدس الشريف. ٩ الرها وهي اورفا اليوم. ١٠ فارس او اورمية وسلمـت وان وهي اليوم خـراوا. ١١ مرو وهي خوراسان. ١٢ هراة. ١٣ الرازقيين اي العرب وسُقُطرة (وهي جزيرة في بحر عمان). ١٤ الصين. ١٥ الهنـد. ١٦ ارمينية. ١٧ سورية اي دمشق الشام. ١٨ بردع اي اذربيجـان (وقد كانت هذه يوماً قاعدة بلاد ايران). ١٩ الري وطبرستان (الري مدينة في عراق العجم وطبرستان هي هرقالية القديمة). ٢٠ الديلم. ٢١ سمرقنـد وما وراء النهر. ٢٢ قشقر وتركستان (وهي بلاد ما وراء نهـر جيحون). ٢٣ بلخ وطوخرستان. ٢٤ سجستان. ٢٥ همـدان. ٢٦ خان بالق وآل بالق وهي الخطا في شمالي الصـين حيث هي اليوم. ٢٧ تنكث في بلاد التتر. ٢٨ النواكث وقشقر في التركستان

قال عمرو بن متى وكل واحد من هولاء الآباء له اساقفة منهم مَن له اثنا عشر اسقفاً ومنهم من له ستة اساقفة (ستأتي البقية)

المطبوعات في أخر سنة ١٨٩٨

للاب هنري لامنس اليسوعي

منذ انتشر فنّ الطباعة لم تزل المطبوعات في نموّ متواصل ولو حاولت دولةٌ من

١) ما تراه مكرّرًا ذكرهُ من الاسقفيات والمطرنيات فاعلم ان هذه قد تُضم احياناً الى التي بجانبها لخلو كرسيها كما ان الآن مطرنة السعادية ومطرنة النقر يديرها مطران واحد لخلو احداها من مديرها الخاص

الدول ان تجمع نسخةً من كل ما يُنشر بالطبع في السنة الواحدة في العالم المعمور لمّا كادت تجد خزانة تحتوي كلَّ هذه التآليف. وقد سمعنا احد ظُنّار الكتبة البريطانيّة الكبرى يقول: اذا بقيت هذه المكتبة على حالتها من النموّ لاقتضى الامرُ بناء سكّة حديديّة تنقل الكتب من اطرافها القصوى الى مُخدع القرّاء لأنهُ يدخلها في السنة نيّف ومئة الف مجلد ما خلا المئين من الكتب الخطيّة والالوف من الجرائد والمجلات ينفق الانكليز على جمعها القناطير المقنطرة من المال ضنًّا بفوائدها العظيمة

وسنقتصر في هذه اللمعة على مطبوعات السنة المنصرمة كي يحيط قرّاؤنا علمًا بحركة العقول في البلاد المتمدّنة

١ الجرائد

واوّل ما ينبغي ذكرهُ « الجرائد » فانّها تفوق عددًا على بقيّة اصناف المطبوعات وان كانت دونها قدرًا من حيث مضمونها

أجل انّهُ لا يسعنا احصاء الصُّحف التي تُنشر في جميع اقطار العالم. غير انّنا نعلم انّها اكثر من ان تُعدّ فمنها للسياسة ومنها للاقتصاد ومنها للعلوم بفروعها بل لا ترى صنفًا من طبقات المجتمع الانساني الّا ولهُ عدّة جرائد تُفيدهُ علمًا بالامور التي تهمّهُ معرفتها فقد انشئت جرائد ومجلاّت للرجال وللنساء وللاطفال ولارباب التجارة ولاصحاب الحِرَف كالخيّاطين والطبّاخين والخدّام ومن يتعاطون التدريس ويشتغلون بالفنون كالموسيقى والتصوير ولمن يجمعون طوابع البريد ويسيرون على الدرّاجات ويطلبون الازياء الجديدة وهلمَّ جرًّا

وفي باريس وحدها طُبع في السنة الماضية من الجرائد والمجلات نحو ٢٤٠٠ يربو اعداد نُسخها على مليونين. ومن الصُّحف التي استُحدثت فيها الجرائد الباحثة في العرّبات السيّارة بالكهرباء الدارجة بذاتها (automobiles)

ومن عجيب الامور انَّ لدولة بلجيكة مع صغرها المقام الاوّل في اوربّة بعدد جرائدها نسبةً الى سكّانها. وقد بلغت هذه الجرائد فيها عدًّا ٤٧٠٠ اعني جريدةً لكل ١٢٠٠ نفس (١. بخلاف النمسة فانَّ لها جريدة لكل ٧٢٠٠٠. وما ذاك الا لانَّ

١) قد نقلنا اكثر هذه الاعداد من مجلّة المجلّات (Revue des Revues, 1er Oct. 1898, p. 47)

البلجيكيين يحبّون الانضمام وينظّمون الشركات فينشئون لها جرائد لترويج امورها هذا فضلًا عن الحرّيّة المطلقة التي تُمنح لكل الاهلين بانشاء جرائد وليس للحكومة شرائع تحصر عملها كما في النمسة التي وضعت للجرائد حدًّا لا يسوغ لكتبتها ان يتعدّوه. بيد انّ كثيرًا من الصُّحف البلجيكيّة ليس تحتها كبير امر ولطلبة المدارس جرائد ينشئونها في غضون دروسهم لا يقرأها غيرهم. وقد رأينا من ذلك اربعًا او خمسًا أُحدثت في اثناء تسعة اشهر قضيناها في لوفان. وللبلجيكيين ثماني جرائد في جمع الطوابع البريديّة وخمس وعشرون صحيفة مدار ابحاثها على الحمام الساعي وتدريبه

ومَن عُرفوا بكثرة صُحفهم السيّارة اليونان واغلبها سياسيّة ولا غروَ فانّ تاريخ هذه الدولة القديم ينبئ بكَلَف اليونان بالسياسة والاسهاب في مباحثها

٢ الكتب

فاز اليابانيون بالسهم المعلى بعدد كتبهم المنشورة طبعًا فبلغوا في ذلك ما لم تبلغهُ دولة اخرى. ويؤخذ من احصائهم الاخير انّهُ طُبع عندهم في سنة ١٨٩٦ فوق ٢٥٠٠٠ كتاب مختلف فيكون ذلك ضِعف مطبوعات فرنسة وانكلترّة. ومن جملة هذه التآليف ٥٠٠٠ كتاب في الشريعة و ١٣٠٠ كتاب دينيّ ونحوها عددًا في علم الهيئة وبلغت التقاويم السنوية ١٤٠٠ وهذا بلا شك امرٌ غريبٌ في بابهِ. لكنّ عدد الجرائد عندهم لا يتجاوز ٨٠٠. ولا غرو انّها ستنمو عمّا قليل مع ما طُبع عليهِ اليابانيون من علوّ الهمة واتّقاد الفهم وكانت اوربّة لا تكاد تحسبهم منذ خمسين سنة في حيّز الشعوب المعدودة

والمرتبة الثانية في عدد المطبوعات بعد اليابان لالمانية ثمّ لفرنسة وانكلترّة تتساويان من هذا الوجه. والمنزلة الرابعة لهولندة والدانيمرك والنروج ثمّ لپولونيسة واسوج ثمّ لايطالية واخيرًا للروسية

وتجارة الكتب اضحت لالمانية موردًا يجديها ربحًا طائلًا. تصاعد في مدّة خمس عشرة سنة من ٢٥ مليون فرنك الى ٦٥ يبتاع النمسيُّون منها نحو نصفها ولكلا الشعبين كما هو مشهور لغة واحدة. ويدخل فرنسة من مطبوعات المانية نحو مليوني مجلّد الّا انّ فرنسة من طرفها تبيع للالمان مليونين وسبعمائة الف كتاب فتكون هي الرابحة

وان استثنينا فرنسة لا نجد بلدًا الا استمدَّ من مطبوعات المانية اكثر مما يمدُّها من مطبوعاته الخاصة

وللانكليز ايضًا شهرة في كثرة الكتابة يتبارى فيها النساء والرجال معًا والكاتبات في انكلترَّة اكثر منهنَّ في سواها من الاقطار. اما المواد التي تدور على محورها تآليفهم فهي اوَّلًا الكتب الدينيَّة كالمواعظ واللاهوت ثمَّ الروايات الخياليَّة يصنِّفون منها في السنة نحو ٨٠٠ رواية

اما الفرنسيُّون فانهم عُرفوا منذ قرون عديدة بكثرة تآليفهم. وقد قرأنا في بعض الاحصاءات المتأخرة انَّ الكتبة الفرنسيين ألَّفوا في سنة واحدة ١٣٠٠٠ كتاب وانشأوا ٧٠٦ جريدة جديدة. وفي سنة ١٨٥٠ كان يُقتضى للمطبوعات الفرنسيَّة ٤٠,٠٠٠ طنٍ من الورق واليوم لا يكفيها منهُ ٣٥٠,٠٠٠ طنٍ. وكان في ذلك الوقت يُصرف في طباعة كلّ المكونة ٢٢١,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام من الورق وقد زادت الآن هذه الكميَّة زيادة عظيمة حتى بلغت ٢,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام. وعليهِ ان قلَّت التصانيف السامية الجليلة في ايَّامنا فتحقَّق ان ذلك لا ينتج عن ندرة القرطاس

٣ مقابلة كتبة عصرنا مع المؤلفين الاقدمين

فممَّا تقدَّم يصحّ القول انَّ اهل زماننا اصابوا بقصبة السبق بكثرة التأليف. غير أنَّنا نجد في تواريخ الشرق قومًا من مشاهير الكتبة القدماء الذين يعارضون بعض اهل عصرنا بعدد مصنَّفاتهم. فانَّ للسيوطي فوق الثلاثمائة كتاب بين قصير ومطوَّل. ومن مصنَّفات الفيروزابادي قاموس بثمانين مجلَّدًا اختصرهُ بقاموسهِ المشهور. ولابي عبيدة اكثر من مائتي تأليف. ومن تآليف ابن عساكر تاريخ الشام في عشرين مجلَّد ضخم وللمسعودي اكثر من عشرين تأليفًا ذُكرت في مقدِّمة كتاب التنبيه المطبوع حديثًا (١. ومن جملتها كتابهُ تاريخ الزمان المفقود الذي كان حجمهُ كحجم كتاب الاغاني وتاريخ الطبري وممن اشتهروا بكثرة تآليفهم غريغوريوس ابو الفرج بن العبري (راجع اسماء كتبهِ في المشرق ١: ٤٥٠ الخ) . وبين المحدثين من كتبة الاوربيين اشتهر اسكندر

---

١) راجع ترجمة هذا الكتاب في الفرنسيَّة (C. de Vaux, p. 369)

هردي الذي ألّف ٦٠٠ رواية هزليـة. وصنّف الكاتب المبرّز بين الاسبان لوپ دي ڤيغا ١٨٠٠ رواية بالشعر. ويحكى عن المركيز دي فُندراس انّهُ في سنة واحدة نشر ثلاثين مجلّدًا اودعها روايات خيالية من تأليفهِ. الا ان اكثر هؤلاء المؤلفين لم يبقَ لهم من ذكر فماتت اعمالهم معهم

وهنا يحسُن بنا ان نبـدي ملاحظة مهمّة وهي انّ كثرة التآليف في بلدٍ ما لا تشهد لاهلهِ بالتقدّم على غيرِ بلاد. فانّ خطارة الكتب توخذ من خطارة مواضيعها لا من كثرة عددها وكم من كتُب اذا اعملتَ فيها عين الانتقاد لا تجد فيهـا من الفوائد الا القِلّ القليل. وهذا يصحّ خصوصاً في اغلب جرائد العصر. وزد على ذلك كتباً كثيرة لا تنفع العلوم شيئاً كالروايات والتآليف المنقولة من لغات شتّى فاذا ضربت عن كلّ ذلك صفحاً لا يبقى من الكتب النافعة سوى العدد القليل وانّما المعوّل لمعرفة تمدّن الشعوب على مثل هذه المؤلّفات المفيدة لا على غيرها. كما انّك لو احصيتَ جيشاً لما اكتفيتَ بالوقوف على عدد افرادهِ ان لم يكن بينهم قوم شديدو البأس كثيرو المراس يفتكون بالعدوّ ويفوزون بالنصر كما قيل:

تعيّرنا انّا قليـلٌ عديدنا فقلتُ لها انّ الكرامَ قليلُ

وتزيد على ذلك انّ وَفرة الكتب ربّما تضرُّ ولا تنفع لانّ القرّاء من اصحاب الذوق السليم لا يدرون ما يختارون من هذه المؤلّفات العديدة. على انّ الوقت لا يسمح لهم بمطالعتها جميعاً فينخدعون باسمائهـا الرنّانة فاذا ابتاعوا شيئاً منها لا يلبثون ان يتحسّروا على خسارة دراهمهم وعلى وقتٍ ثمين صرفوهُ في قراءتها. امّا الاغرار الذين لا خبرة لهم من الشبّان وغيرهم فانّهم بكثرة مطالعة مثل هذه الكتب القليـلة الفائدة يعتادون التواني فلا يعودون يجهدون قريحتهم على الدرس الطويل والنظر الدقيق فيعرفون القِلّ القليـل من كلّ المعارف ولا يحسنون شيئاً منها وليت شعري اذا لم يستقوا من مناهل هذه التصانيف الفكرة شيئاً. ذعافاً يزعزع عقائدهم ويفسد آدابهم وكثيرٌ ما هم صانَ الله شرقنا العزيز من آفتهم